الصـــابئة
دراسة جغرافية

الدكتور صالح فليح حسن
مدرس قسم الجغرافية ـ كلية الآداب
جامعة بغـداد

١ ـ المقدمـة

كنت قد شرعت بكتابة هذا البحث منذ عام ١٩٧٣ وقـد آثرت ان لا انشره متريثا • وقد نشرت منذ ذلك التاريخ كتب وابحاث حول انصابئة ، الا ان لكل واحد منهـا وجهته الخاصة فنظروا اليهم من زوايا علم الاديان او تاريخها[١] او التراث الشعبي[٢] • او اللغة[٣] • وبقيت دراسة الصابئة من وجهة نظر جغرافية لم تستكمل بعد • علما بان احد الباحثين من الجغرافيين[٤] قد تقدم برسالة ماجستير عام ١٩٧٥ عنوانها جغرافية الاقليات الدينية فـي العراق • وقد تعرضت الى الصابئة ولكن الى جانب بقية الاقليات الدينية

---

(١) الدكتور رشدي عليان « الصابئون حرانيين ومندائيين » مطبعة دار السلام بغـداد ١٩٧٧

(٢) ناجية المراني « اضواء على الصابئة المندائيين » مجلة التراث الشـــعبي تصدرها وزارة الاعلام العراقية ـ العدد ٩ السنة ٥ ـ ١٩٧٤ .

(٣) اديبة عبدالرزاق « علاقة المندائية بالعربية » مجلة المورد تصدرها وزارة الاعلام العراقية ـ المجلد الرابع سنة ١٩٧٥

(٤) منذر عبدالمجيد البدري ـ جغرافية الاقليات الدينية في العراق رسالة ماجستير تقدم بها الى كلية الآداب ـ جامعة بغـداد تشرين الاول ١٩٧٥ (رونيو)

فبقيت جوانب اخرى لم يسلط عليها الضوء خاصة بالصابئة • هذا الى جانب نقاط خلاف حاولنا ان ندلو بدلونا بها خاصة حول موطن واصل الصابئة وديانتهم وقد استعنا بالقرآن الكريم بعد تمحيص الآيات التي ورد فيها ذكر الصابئة للتدليل على وجهة نظرنا • ولعل الدافع الرئيس للبحث تصحيح آراء بعض الباحثين سواء من كتبوا قديما او حديثا حول ان هذه الطائفة في سبيلها الى الزوال • مستندين الى آراء واهية هدمتها احصاءات السكان المتواترة في العراق وقد لا نستبق الحوادث اذا اعتقدنا ان احصاءات عام ١٩٧٧ سوف تفضح هذا الرأي وتخذله •

والصابئة احدى الطوائف الدينية التي تحتل الدرجة الثالثة بين اقليات العراق الدينية من حيث العدد ، بعد النصارى واليزيدية • ورغم ضآلة نسبة ما تمثله من مجموع السكان العام ،، اذ تبلغ ١٨ر٠٪ من مجموع سكان العراق حسب احصاء ١٩٦٥ م(٥) ، فانها اقلية نشطة عاملة كما سنرى • وسنحاول في هذا البحث القاء ضوء على بعض جوانب واحوال هذه الطائفة من وجهة نظر جغرافية ، على اعتبار ان الجغرافية (علم يدرس الانسان والبيئة التي يعيش فيها ، مع بيان التأثير المتبادل بينهما) • اذ ان الصابئة مجموعة من سكان العراق يتميزون بطقوس دينية معينة • اثرت في توزيعهم الجغرافي ، وانتشارهم ، واستيطانهم ، وهجرتهم ، وسلوكهم ، وعلاقتهم بمن حولهم من بقية السكان ، وسوف نقتصر على القدر الذي له علاقة بتلك النواحي التي يهتم بها احد فروع الجغرافية ، وهو جغرافية السكان وبالقدر الذي توفره لنا الاحصاءات والدراسة الحقلية الممكنة •

---

(٥) الجمهورية العراقية ـ وزارة التخطيط ـ الجهاز المركزي للاحصاء (نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥) مطبعة الجهاز المركزي ـ بغداد ١٩٧٣ . اتضح ان مجموع سكان العراق هو ٨ر٠٤٧ر٤١٥ نسمة بينما لم يزد عدد الصابئة في هذه السنة (١٩٦٥) عن ١٤٥٧٢ نسمة فقط .

٢ ـ اسم الصابئة وموطنهم الاصلي

الصابئة[٦] كاسم لهذه الطائفة غير معروف عندهم دينيا ـ كما اورد ذلك مترجما كتاب (الصابئة المندائيون) ـ وهما صابئيان ـ فهم يعرفون انفسهم باسم (مندايي)[٧] . فلابد اذا ان تكون تسميتهم بالصابئيين قد جاءت من الاقوام حولهم ، فاذا علمنا ان الشعار الرئيس لديهم هو الارتماس في الماء الجاري وان طهارتهم اليومية تمارس كذلك عن طريق الاغتسال في الماء . وان هذه الممارسة تسمى (مصبته) اي التعميد . ترجح لدينا ان التسمية (صابئي) مأخوذة من فعل صبا الآرامي ومعناه يرتمس ويتعمد فهم يقولون في صيغة الاذان عندهم (انش صابي بمصبة شلمي) اي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم . كما يقولون في التعميد (صبينا ابمصبته اد بهرام ربه) اي تعمدنا بعماد ابراهيم الكبير ، ولديهم الكثير من العبارات التي تذكر كلمة (المصبته) في طقوسهم . فمن المعقول ان يكون الاقوام المجاورون لهم وكثير منهم آراميون او يعرفون اللغة الآرامية قد اطلقوا عليهم اسم

---

(٦) الصابئة لغة من صبأ صبوءاً (اي خرج من دين الى دين آخر ، كما تصبأ النجوم اي تخرج من مطالعها) ـ عبدالرزاق الحسني (الصابئون في حاضرهم وماضيهم) مطبعة العرفان صيدا ـ لبنان الطبعة الثالثة ١٩٦٣ ص ٢٠ وصبأ ايضا اذا صار صابئيا (والصابئون جنس من اهل الكتاب). او ان صبأ بمعنى مال عن الحق . هذا فيما اذا كانت الكلمة في اصلها عربية ، اما ان كانت سريانية فمعناها الغسل والوضوء . عبدالحميد افندي بكر عبادة ـ كتاب مندائي او الصابئة الاقدميين ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الفرات ـ بغداد ـ ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م ص ٥

(٧) تعنى كلمة مندايي باللغة الآرامية (العارف) من الفعل (مندعا) أي عرف او علم . المترجمان : نعيم بدوي وغضبان رومي (مقدمة لكتاب الصابئة المندائيون) تأليف الليدي دراوور ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٩ ص ٨ او معناها : الباقي بالفارسية
الدكتور مصطفى جواد (الصابئة المندائيون ايضا) مجلة العربي الكويتية تصدرها وزارة الارشاد ـ الكويت العدد ١١٦ تموز ١٩٦٨ ص ١٠٦

(الصابئين) اي المغتسلة بالآرامية[٨] . وقد ايد هذا الرأي (اي ان صابئة العراق هم المغتسلة) كثير من الباحثين القدامى والمحدثين . منهم صاحب الفهرست ابن النديم ، ونولدكه ، والليدي دراوور ، والبروفسور اوليري والعقاد .

الا ان اسم الصابئة لم يكن مقتصرا على هؤلاء الذين سماهم مؤرخوا العرب الاقدمون بالمغتسلة او صابئة البطائح . بل ان كثيرا ما اختلط الامر حتى عد كل من خرج عن دينه الى دين آخر بالصابئي حتى ان المشركين من اهالي مكة كثيرا ما اطلقوا على المسلمين الاوائل والاحناف اسم الصابئة . ونظرا لانطوائية وانعزال الصابئة وحرصهم واجتهادهم في كتمان اسرار دياناتهم ، كثرا ما ادعى معتنقوا اديان اخرى انهم صابئة خوفا من الاضطهاد والقتل . وهذا ما حدث لعبدة الكواكب والنجوم من سكان حران[٩] الوثنيين وهم بقايا الآراميين . اذ ادعوا في خلافة المأمون عام ٢١٨ هـ

---

(٨) قال مترجما كتاب ـ الصابئة المندائيون ـ وهما صابئيان في مقدمتهما .
« الا اننا لم نبد رأيا مكتوبا مستندا الى وثائق دينية صابئية لاسباب منها ان رجال الدين الصابئي لا يعاوننا لانهم لا يقرون علنية الدين فذلك يتعارض وباطنيته ، اضافة الى ان الدين ليس تبشيريا » المترجمان نعيم بدوي ـ وغضبان رومي مصدر سابق ص ٤

(٩) حاران او (حران) مدينة قديمة لا تزال معروفة باسمها القديم وموقعها في الشمال الغربي من بلاد مابين النهرين في جوار الحدود السوريةالتركية داخل حدود تركيا على منابع البليخ احد روافد الفرات العليا ، تقع على بعد ٨٠ كم من مصب نهر البليخ في نهر الفرات . كانت مركزا لاحدى الدويلات الارامية . ورد ذكرها في التوراة باسم (مذان ـ ارام) كما كانت مركزا هاما على الطريق التجارية الرئيسية بين العراق وفلسطين . وقد اشتهرت بكونها مركزا لعبادة اله القمر (الاله سين) وهي المدينة التي توجه اليها ابراهيم الخليل (ع) بعد خروجه من اور الكلدانيين وذهب منها الى كنعان
الدكتور احمد سوسة « العرب واليهود في التاريخ » الطبعة الثانية اوفست دار الاعتدال بدمشق ـ ١٩٧٢ ص ٤٦٦-٤٦٧ .

٨٣٣ م انهم صابئة[١٠] . واغلب الظن انه لم يبق حاليا من صابئة حران المشركين احد ، لتحولهم الى ديانات اخرى . اذ لم يتسامح اي دين سماوي وخاصة الاسلام مع المشركين . وسنناقش فيما بعد كيف ان قسما منهم تحول الى دين الصابئة فعلا . اما الصابئة الحاليون ، فالارجح انهم هم الذين ذكروا في القرآن الكريم . وهم الذين دفعوا الجزية واعتبروا اهل ذمة وكتاب رغم ان المفسرين كثيرا ما اختلفوا في الحكم عليهم[١١] . وذلك عائد الى الخلط بينهم وبين صابئة حران . ولباطنية هذا الدين كما سبق ، ولجهل مؤرخي العرب باللغة المندائية[١٢] . وان الذي يتفحص معتقدات الصابئة الحاليين (المندائية) في العراق لا يتردد في الاعتقاد بان هؤلاء واجدادهم هم الذين جاء ذكرهم في القرآن لانهم يؤمنون بالله ، واليوم الآخر والعمل الصالح . فيقول عنهم السيد عبدالرزاق الحسني وهو الذي اتهمهم بانهم من عبدة النجوم (تعتقد الصابئة (المندائية) ان الخالق واحد ازلي الذي لا اول لوجوده ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ، لا تناله الحواس ، ولا يفضي اليه مخلوق ، وانه لم يلد ولم يولد ، وهو علة وجود الاشياء ومكونها)[١٣] . الا ان مترجما كتاب الليدي دراوور قدما ملخصا لاهم معتقدات الدين الصابئي ومنها . (الاعتقاد بتأثير النجوم والكواكب على مصائر جميع مظاهر الحياة ومن جملتها البشر اضافة الى انها اماكن للمطهر بعد الموت)[١٤] واعتقدا ان الملائكة تسكن النجوم لهذا يعظمونها .

---

(١٠) عبدالرزاق الحسني ـ مصدر سابق ص ٢٣٠ نقلا عن الفهرست لابن النديم

(١١) الحافظ عمادالدين ابو الفدا اسماعيل (ابن كثير) « تفسير القرآن العظيم » الجزء الاول ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م ص ١٠٣ ـ الجزء الثاني ص ٨٠

(١٢) المترجمان نعيم بدوي وغضبان رومي ـ مصدر سابق ص ٤

(١٣) عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ٤٣

(١٤) المترجمان نعيم بدوي ـ وغضبان رومي ـ مصدر سابق ص ١٤

ويعتقد الصابئة المندائية (انهم يتبعون تعاليم آدام ، ولديهم كتاب الكنز ـ اي صحف آدم ـ غير ان تقادم العهد على الرسول الاول للدين ونشوء المذاهب الزائفة والاديان الوثنية ، كل هذه ادخلت تعاليم غريبة في الدين ، فجاء النبي يحيى (ع) يخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة)[١٥]

واذا ما اطلعنا على اهم المحرمات في ديانة الصابئة كما اوردها السيد عبدالرزاق الحسني تأكد لنا ان الصابئة اهل كتاب واتباع دين سماوي • وملخص تلك المحرمات هي :

١ ـ القتل والقتال الا في حالة الدفاع عن النفس •

٢ ـ الزنا واللواط •

٣ ـ احتساء الخمر حتى السكر ، ولعب الميسر مطلقا •

٤ ـ الختان

٥ ـ حلف اليمين وان صدقا •

٦ ـ مؤاكلة اصحاب الديانات الاخرى •

٧ ـ الاكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة •

٨ ـ لبس الازرق •

٩ ـ قطع الطريق وسلب المارة •

١٠ ـ النظر الى المحصنة بريب •

١١ ـ الاشتغال في الاعياد وايام الآحاد •

١٢ ـ شهادة الزور •

١٣ ـ الفتنة والغيبة والنميمة •

١٤ ـ الربا وربح الربا •

١٥ ـ الحبس عن دين مهما كانت مدته •

---

(١٥) عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ٥٥

١٦ ــ خيانة الامــانة.

١٧ ــ حلق الذقن والشارب والاخذ منها . اما شعر الراس فيسمح بقصه للعامة دون الخاصة .

١٨ ــ اكل لحم كل ذي ذنب ويسمح بأكل لحم الخراف والدجاج والسمك وطير الحر بالطريقة التي يذبحونها بطريقتهم الخاصة[١٦] .

ونظرة فاحصة الى الآيات الكريمة الثلاث التي ورد فيها ذكر الصابئة وهي : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمــن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (سورة البقرة آية ٦٢) « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (سورة المائدة آية ٦٩) . « ان الذين آمنوا والذين هــادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » (سورة الحج آية ١٧) .

ان الذي يتفحص الآيات يرجح الاعتقاد القائل بان الصابئة قوم كانوا على ديانة اليهود او الديانات السابقة ثم اصبحوا من اتباع النبي يحيى(ع) . وقد رجحت ذلك لان ذكر الصابئة جاء في الآية الاولى بعد ذكر النصارى وجاء في الآية الثانية قبل ذكر النصارى . والذي يستنتج مــن ذلك ان الصابئة كــانوا معاصرين للنصارى حيث كان يحيى (ع) ابن خــالة السيد

---

(١٦) عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ١٣٩
وانظر محرمات اخرى في المصدر التالي
الدكتور رشدي عليان مصدر سابق ص ١١٦ و ص ١١٧

المسيح (ع) • وكان مولده قبله بعشرة سنين • وقد كان معاصرا له • وهكذا فان الصابئة الذين لازالوا يذكرون النبي يحيى (ع) عند التعميد قد عاصروا ظهور المسيحية ، وكانوا معهم في نفس البيئة وهي فلسطين • حيث مارسوا طقوسهم الدينية (التعميد) في مياه نهر الاردن ولكن اليهود اضطهدوا اتباع يحيى لاختلافهم معهم فهاجروا الى العراق •

واني اميل الى تأييد المستشرق الالماني رتير الذي كتب الى السيد عبدالرزاق الحسني ما يلي « فصابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية وتبعوا يوحنا المعمدان • ثم رأوا ان اتباع عيسى غلبوا على اتباع المعمدان فهاجروا من الاردن الى نهر آخر يجري من الشمال الى الجنوب وهو دجلة »[١٧] • إلا ان الاضطهاد كان من اليهود وليس من النصارى • ويحدد موعد تلك الهجرة بعام ٧٠ ميلادية • واعتمادا على احدى كتب الصابئة القصصية المسمى بحران كوثيا (حران الجنوبية)[١٨] • قد استقر هؤلاء في القسم الجنوبي من العراق قرب العمارة • حيث يتوفر الماء والدفء في هذه البيئة وهما لازمان للتعميد • ومن اشهر قراهم التاريخية قرية الطيب التي تقع آثارها قرب جنوب شرق العمارة الحالية[١٩] • وقيل ان ماني الذي ولد عام ٢١٥ او ٢١٦ م قد ولد على مذهب المغتسلة في قرية في وسط ولاية ميسان • رغم ان اصله من همدان في ايران[٢٠] • ويذكر كتاب (حران كوثيا) انه حين تم الفتح العربي للعراق (ذهب وفد من الصابئة (المندائي) برئاسة احد كبار كهنتهم المدعو (دانقا) لمقابلة القائد العربي وعرض عليه امر

---

(١٧) عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ٨١

(١٨) المترجمان نعيم بدوي وغضبان رومي مصدر سابق ص ١٤

(١٩ ، ٢٠) الدكتور مصطفى جواد مصدر سابق ص ١٠٦ ـ ١٠٧

الصابئين وان القائد العربي اقرهم على دينهم فاكسبهم التسامح الديني ـ كاصحاب كتاب ـ وبقوانين المسلمين يؤدون الجزية)[٢١] .

اما الاعتقاد بانهم سكنوا بعد خروجهم من فلسطين حران[٢٢] اولا . فلم اجد تفسيرا له الا لحل الاشكال الناجم عن دخول كثير من معتقدات الحرانيين كتعظيم النجوم الى ديانة الصابئة . وان كانوا مروا بها في هجرتهم بحكم وقوعها على الطريق ، فلم يستقروا بها لان البيئة لا تلائم ممارسة طقوسهم واهمها التعميد لبرودة المياه فيها ، وانخفاض درجات الحرارة اثناء الشتاء . ولم يسكن الآن في حران من الصابئين احد . وعندي ان الحرانيين الذين ادعوا بانهم صابئة وخاصة الذين لاقوا حضوة لدى دار الخلافة العباسية كمترجمين قد تزاوجوا واختلطوا مع الصابئة المندائيين . فادخلوا جزءاً من معتقداتهم الى الدين الصابئي . (فمثلا ان ثابت بن قرة الحراني كانت امه من آل زهرون وهم من الصابئة المندائيين)[٢٣] . وليس غريبا ان تتعرض الديانات الى التحريف كما حدث لليهودية والمسيحية اللتان دخلتهما معتقدات وثنية غريبة .[٢٤]

بينت المناقشة السابقة . ان صابئة العراق الحاليين هم الصابئة المندائية او المغتسلة . وان اصلهم من فلسطين وهم الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم . وهم من الذميين اهل الكتاب الذين دفعوا الجزية للدول الاسلامية

(٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) المترجمان نعيم بدوي وغضبان رومي مصدر سابق ص (١٥ ـ ١٧)

(٢٤) ورغم اني قد اطلعت على رأي الدكتور رشدي عليان بان الدين الصابئي دين غنوصي فاني انحاز الى رأي الكثير من الباحثين الذين عدوا الصابئة المندائيين اتباع النبي يحيى (ع) وان نشأتهم كانت في القدس وللحقيقة ان الدكتور عليان لم ينكر « ان اكثر ما عليه المندائيون المعاصرون من قيم وطقوس وشعائر دينية هو من موروث القدس » الدكتور رشدي عليان مصدر سابق ص ٨١
الدكتور رشدي عليان مصدر سابق ص ١٢٢ ـ ١٢٥

المتعاقبة • ولازال الصابئة يتوارثون كتبهم القديمة المكتوبة[٢٥] بلغتهم المندائية التي هي احد فروع اللغة الآرامية التي سبقت اللغة السريانية الحديثة• ولا زال رجال دينهم فقط هم الذين يعرفون ويتعلمون قواعدها دون عامة الطائفة[٢٦] • فاذا ما حصلت لدينا القناعة بان الصابئة في العراق هم المغتسلة الذين جاء ذكرهم في القرآن امكننا رفض جميع الآراء المغايرة التي ترجع اصلهم الى الكلدانيين او البابليين وسكان العراق الاقدمين ولا من المجوس • كذلك يمكن رفض جميع الآراء التي بنيت على اساس ان الصابئة عبدة نجوم وكواكب • ومن هذه الآراء قول المرحوم الدكتور مصطفى جواد « ان اكثر صابئة العرب كانوا باليمن استنادا الى ان قوم بلقيس كانوا يسجدون للشمس من دون الله)[٢٧] •

ولا ارى ضرورة بعد هذا لايراد الشواهد على ان دين الصابئة الحاليين ليس وثنيا وسرد معتقداتهم وطقوسهم وكتبهم • بعد ان اماط اللثام كثير من الباحثين عن تلك ، التي كانت من الكنوز الطلسمية التي يحرم غير الصابئين من الاطلاع عليها ولا يباح لهم الافصاح عنها فهو دين باطني •

٣ ــ نموهم واستمرار وجودهم

حظي الصابئة المندائيون ــ الذين سكنوا منطقة البطائح في جنوب العراق وعربستان (الاحواز) ــ بالتسامح في ظل الحكم العربي الاسلامي • فلم يذكر التاريخ انهم اضطهدوا حتى حين افتى بعض الفقهاء بقتلهم لانهم يعبدون الكواكب[٢٨] ، في القرن الرابع الهجري • اذ احجم الخلفاء عن تنفيذ تلك الفتوى • وهكذا استمر تواجدهم وتكاثرهم ولكنهم تعرضوا الى مذبحة رهيبة اثناء القرن الرابع عشر الميلادي ، حيث كان سلطان بن مهدي

---

(٢٥) لاجل الاطلاع على تفاصيل حول كتب وطقوس ومعتقدات الصابئة راجع الدكتور رشدي عليان مصدر سابق ص ١٢٢ ــ ١٢٥ .

(٢٦) المترجمان نعيم بدوي وغضبان رومي مصدر سابق ص ٢١

(٢٧ ، ٢٨) الدكتور مصطفى جواد مصدر سابق ص ١٠٨

حاكما في العمارة وكان ابنه فياض حاكما في ششتر • وذلك بسبب فتنة ثارت لتعرض اعراب في اسطول من المراكب لامرأة صابئية في احد اعيادهم • فذبح الكهان والرجال والنساء وبقيت الطائفة مهيضة الجناح وبلا كهان لعدة سنوات •[٢٩] • وقد تسامح الاتراك مع الصابئة بان استلموا منهم البدل النقدي بدلا من الانخراط بالجيش[٣٠] • واولى التقديرات عن عدد الصابئة (كما يظهر من جدول رقم ١) جاءت عن طريق الرحالة تافرنيه الفرنسي عام ١٦٥٢ م • اذ قيل له ان اتباع القديس يوحنا المعمدان اي (الصابئة) القاطنين في البصرة واطرافها يومئذ يقدرون بخمسة وعشرين الف عائلة • فاذا فرضنا ان العائلة تتكون من خمسة اشخاص فيعنى ذلك ان عددهم يومذاك مئة وخمسة وعشرين الف نسمة[٣١] • بينما يقدرهم ثفنو في نفس الفترة عام ١٦٦٣ م بحوالي ٣٢٧٩ نسمة • واني اميل الى تأييد الرقم الاخير • ولعل تافرنيه اراد ان يبالغ في عدد المسيحيين في هذا البلاد • اذ انه يسميهم بنصارى القديس يوحنا • اذ لم يزد عدد نفوس بغداد حين مر بها عن ١٥٠٠٠ نسمة[٣٢] • وقد يكون اغناطوس الجزويتي قد اعتمد على تقدير تافرنية عام ١٦٧٢ م فقدرهم بنفس العدد • وقال ان لهم مستعمرات في مسقط وگوا وسيلان[٣٣] • والثابت من تاريخهم انهم لم ينتشروا خارج العراق وجنوب ايران • ولعله كان يقصد جميع المسيحيين في منطقة الخليج العربي •

(٢٩ ، ٣٠) الليدي دراوور مصدر سابق ص ٥٧

(٣١) عبدالرزاق الحسني المصدر السابق ص ١٢٤

(٣٢) تافرنيه . نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٩٤٤ ص ٨٩ ، ص ١٠٢

(٣٣ ، ٣٤) الليدي دراوور المصدر السابق ص ٦٢ ـ ٦٤ •

اما بترومان فيقدرهم بـ (٤٠٠٠) نسمة[٣٤] • وهو الـذي اقام في سوق الشيوخ اكثر من عام سنة ١٨٦٠ م • ولعل نيقولا سيوفي قد اعتمد عليه في تقديره لهم عام ١٨٧٧ م[٣٥] • وقد اعترض على هذا التقدير السيد عبدالرزاق الحسني وسنناقشه على ذلك فيما بعد • وعندي ان ج•ج لوريمر مؤلف كتاب دليل الخليج العربي الذي قدر عددهم في بداية القرن العشرين (حوالي عام ١٩١٠ م) بحوالي ٢٥٠٠ نسمة في العراق و ٥٠٠ نسمة في عربستان[٣٦] • يعتبر من ادق التقديرات اذ ان الكتاب اعد على شكل تقرير سري للحكومة البريطانية ، ولذا فانه يتوخى الدقة ويعتمد على اكثر المصادر وثوقا • وقد ذكر السيد عبدالحميد بكر عبادة ان عدد رجالهم عام ١٩٢٧ م حوالي ٥٠٠٠ نسمة[٣٧] • وان ذلك مستقى من اقوال الصابئة آنذاك • وهو رقم مبالغ فيه اذ ان احصاء ١٩٣٢ قد قدر عددهم بـ ٣٨٥٠ نسمة ثم ٥٤٣٢ نسمة عام ١٩٣٥ م[٣٨] • الا ان هذه الاحصاءات لا يعتمد عليها لانها تستند في اكثرها على التقديرات •

واول احصاء رسمي يمكن الاعتماد عليه هو احصاء ١٩٤٧ فقد تبين ان عددهم ٦٥٩٧ نسمة[٣٩] • وقد تضاعف هذا العدد تقريبا عام ١٩٥٧ م حيث اصبح عددهم ١١٨٢٥ نسمة[٤٠] • ويشير تعداد السكان عام ١٩٦٥ م بان عددهم اصبح ١٤٥٧٢ نسمة منهم ٧٣٨٢ ذكور و٧١٩٠ اناث • لاحظ جدول رقم ١ وشكل رقم ١

---

(٣٥) السيد عبدالرزاق الحسني المصدر السابق ص ١٢٥

(٣٦) ج • ج • لوريمر ـ دليل الخليج العربي (القسم الجغرافي ـ ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر ـ الدار العربية للطباعة والنشر ١٩٧٠ م ص ٣٠١٦ ـ ٣٠١٧

(٣٧) السيد عبدالحميد بكر عبادة ـ مصدر سابق ص ١١

(٣٨) الليدي دراوور المصدر السابق ص ٦٤

(٣٩) احصاء السكان لسنة ١٩٤٧

(٤٠) المجموعات الاحصائية لتسجيل ١٩٥٧ ـ مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٦١

جدول رقم ١

تقديرات واحصاءات عن عدد الصابئة حتى عام ١٩٦٥

السنة	العدد (نسمة)		
١٦٥٢	٥ × ٢٥٠٠٠ عائلة	١٢٥٠٠٠	تافرنيه « العراق في القرن السابع عشر مترجم ص١٠٢»
١٦٦٣		٠٣٢٧٩	ثفنو (عن كتاب الصابئة المندائيون / الليدي دراوور ص ٦٣)
١٦٧٢	٥ × ٢٥٠٠٠ عائلة	١٢٥٠٠٠	اغناطوس الجرويتي (كتاب الليدي دراوور ص ٦٤)
١٨٦٠	١٥٠٠ ذكور	٠٤٠٠٠	بترمان (كتاب الليدي دراوور
١٨٧٧		٤٠٠٠	نقولا سيوفي (الحسني ص ٦٤)
١٩١٠	٥٠٠ في ايران	٠٢٥٠٠	لوريمر (دليل الخليج ص٣٠١٦)
١٩٢٧	٥٠٠٠ ذكور	١٠٠٠٠	عبادة (مندالي ص ١١)
١٩٣٢		٠٣٨٠٥	الحكومة العراقية (كتاب الليدي دراوور ص ٦٤)
١٩٣٥		٠٥٤٣٢	الحكومة العراقية (كتاب الليدي دراوور ص ٦٤)
١٩٤٧		٠٦٥٩٧	وزارة الشؤون الاجتماعية (احصاء السكان ١٩٤٧)
١٩٥٧		١١٨٢٥	وزارة الداخلية (المجموعات الاحصائية لتسجيل ١٩٥٧)
١٩٦٥		١٤٥٧٢	وزارة التخطيط (نتائج التعداد العام لسنة ١٩٦٥)

شكل رقم «١» يمثل نمو الصابئة في العراق

١٩٢٧ — ١٩٦٥

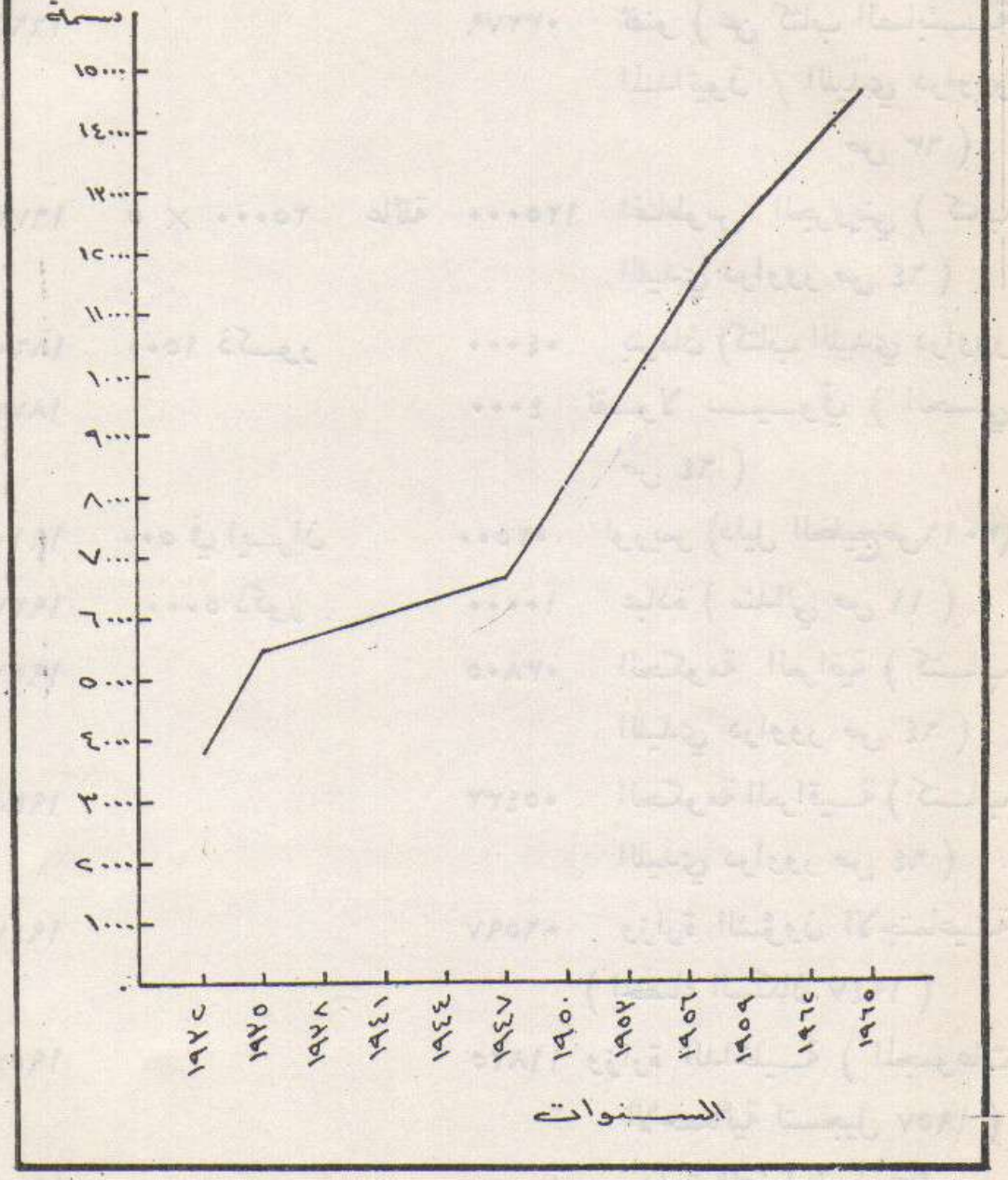

تبين من الاحصاءات السابقة منذ عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٥ م ان عدد الصابئة بتزايد مستمر • وهذا يبرهن بما لا يقبل الشك بعقم وخطل الرأي القائل ان الصابئة اقلية تأكل نفسها والذي روجه الباحث السيد عبدالرزاق الحسني حيث قال (ان الصابئي لا يكون صابئيا ما لم يولد من اب وام صابيين • وان الصابئة لا يسوغون زواج الصابئية من الاجنبي ، ولا زواج الصابئي من اجنبية ، لئلا يختلط الدم ، ويضيع النسب • وقد ادى هذا التشدد في المحافظة على نقاوة الدم الى جعل هذا الفريق من البشر محصورا في العدد ، آخذا بالتناقص سنة بعد اخرى ، حتى ان الباحثين في تاريخ الاقوام والسلالات يرون انه لا يمر قرن واحد حتى ينقرض الصابئون من سفر الوجود • ثم يذكر مخاطر التعميد سواء بالماء الجاري سواء في الصيف والشتاء للاطفال المولودين حديثا أو للمختصرين قبل زهوق الروح)[٤٠] •

ولهذا فقد رجح تقدير تاقرنيه واضعف تقدير سيوفي وانتقده • وقال عنه انه لم يستند على احصاء رسمي وهل (ما قيل لتاقرنيه) احصاء رسمي • كما ان السيد الحسني لاجل اثبات رأيه يبقي عدد الصابئة لمدة عشرة سنوات ثابتا ، وهو ٦٥٩٧ نسمة ، بين عامي ١٩٤٧ ــ ١٩٥٨ مستندا على الاحصائية السنوية لعام ١٩٥٦ م التي تصدرها وزارة الاقتصاد آنذاك • علما بان تلك الاحصائية حين تذكر عدد النفوس تستند الى احصاء ١٩٤٧ م[٤١] • بل ان الاصرار على الخطأ يبقى مستمرا حتى عام ١٩٦٨ بعد ظهور وطبع نتائج احصاء ١٩٥٧ • حيث نشر السيد الحسني مقالة في مجلة العربي الكويتية[٤٢] •

---

(٤٠) السيد عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ١٢٣

(٤١) الحكومة العراقية ــ وزارة الاقتصاد ــ الدائرة الرئيسية للاحصاء • المجموعة الاحصائية السنوية العامة ١٩٥٦ ــ مطبعة الزهراء ــ بغداد ١٩٥٧ ص ١٢ ــ ص ٢١

(٤٢) السيد عبدالرزاق الحسني « صابئة البطائح وصابئة حران هل هم الذين ورد ذكرهم في القرآن » مجلة العربي ــ تصدرها وزارة الارشاد الكويتية العدد ١١٢ آذار ١٩٦٨ ص ٧٨

ولعل السيد الحسني قد تأثر برأي الليدي دراوور التي ترى ان هذه الطائفة آخذة بالاضمحلال وذلك لتناقص ولاء عامة الصابئة لتعاليمهم الدينية ولكهانهم واقبالهم على الحياة العصرية الحديثة اولا . ولان النساء الصابئيات بدأن يتزوجن من خارج عقيدتهن[٤٣] . الا ان الاحصاءات خذلتها ايضا،اذ كانت تتوقع تناقص عددهم. ولقد أُصبت بحيرة اذ ان كتابا السيد الحسني والليدي دراوور قد ضما بين دفتيهما فصلا خاصا عن الزواج عند الصابئة . ومن احكامه (يرى الصابئيون (المندائيون) ان العزوبية خطيئة لا تغتفر وان الزواج فرض على كل من استطاع اليه سبيلا ، ومن توفرت لديه اسبابه ، وتخلف عنه ، فقد حرم نفسه من نعيم الآخرة مدة من الزمن واما من كان معدما فقد حتمت الشريعة (المندائية) على الموسرين تسيير اسباب الزواج له).[٤٤]

وقد اباحت الشريعة المندائية للصائبي ان يتزوج ما طاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع وخماس وسداس وسباع غير محدود[٤٥] . وقد لاحظت الليدي دراوور ان اكثر الكهان يتزجون باكثر من واحدة . وقد عابوا على المسيحية اقرارها للرهبنة وقطع النسل[٤٦] . ولم ار في التعميد سواء اثناء الزواج او للطفل بعد الولادة او للنفساء اي خطر على الحياة بل يمكن تاجيل هذه المراسيم في الحالات الاضطرارية .

وقد تأثر برأي هذه الباحثة كل من الدكتور رشدي عليان في مقدمة كتابه الصابئيون حرانيين ومندائيين[٤٦] وكذلك السيد منذر البدري الذي لاحظ ان نسبة نمو الصابئة بين عامي ١٩٥٧ ــ ١٩٦٥ والبالغة ٨ر٢٪ نسبة متدنية عن معدل النمو السنوي السابق للفترة ما بين عامي ١٩٤٧ ــ ١٩٥٧ والتي بلغت ٦ر٥٪[٤٧] . ولكنه لم يعز ذلك الى ان احصاء ١٩٤٧ هو ادنى

---

(٤٣) الليدي دراوور مصدر سابق ص ٥٨

(٤٤) السيد عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ١٠٢

(٤٥) السيد عبدالرزاق الحسني مصدر سابق ص ١٠٢

(٤٦) الدكتور رشدي عليان مصدر سابق ص ١٩

(٤٧) منذر عبدالمجيد البدري مصدر سابق جدول رقم ٨ ص ٢٠١

في دقته من احصاء ١٩٥٧ • كما ان نسبة النمو ٨ر٢٪ ليست قليلة لطائفة الصابئة التي لا تقل فيها نسبة الحضر عن ٩٥٪ من مجموعهم • بل ان تلك النسبة لم تقل عن نسبة نمو اليزيدية لنفس الفترة بينما فاقت نسبة نمو المسيحيين في نفس الفترة والتي بلغت ٦ر١٪ فقط(*) •

وقد قمت بمقارنة لتزايد ١١ عائلة صابئية قدمت الى بغداد من العمارة خلال عشرين سنة مع ١١ عائلة عربية مسلمة قدمت ايضا من العمارة في نفس الفترة • فكان تزايد الصابئة طبقا لذلك اكبر من تزايد العرب المسلمين (لاحظ جدول رقم ٢) اذ ان تزايد المسلمين كان بعد عشرين سنة بنسبة ١٧٦٪ بينما كانت نسبة تزايد الصابئة ١٨٣٪ •

ويجدر هنا ان ننبه الى حقيقة ان نسبة نمو الصابئة وتزايدهم بين عامي ١٩٤٧ ــ ١٩٥٧ كانت اعلى من نسبة تزايد سكان العراق بصورة عامة • اذ بعد تطبيق المعيار الذي اعتمدت عليها احصاءات الامم المتحدة في قياس نسبة التزايد السنوية • وجد ان نسبة تزايد سكان العراق السنوية بين هذين التاريخين هي ٣ر٣٪ سنويا • بينما نسبة تزايد الصابئة كانت ٦ر٥٪ سنويا • الا ان هذا التزايد في عدد الصابئة بدأ يقل في السنوات الاخيرة • اذ بينما كانت نسبة تزايد سكان العراق بصورة عامة • مابين عامي ١٩٥٧ ــ ١٩٦٥

(*) حسبت نسبة التزايد وفق القانون التالي

$$r = \left(\sqrt[t]{\frac{Pl}{Po}} - 1 \right) 100$$

Po تمثل مجموع السكان في السنة السابقة

Pl تمثل مجموع السكان في السنة اللاحقة

t تمثل عدد السنوات بين التاريخين

r تمثل نسبة التبدل السنوية او التزايد

Demographic year book 1970—New York 1971

جـدول رقم ٢

يبين مقارنة بين تزايد عدد من العوائل (مسلمة واخرى صابئيه)
بين عامي ١٩٥٣ ــ ١٩٧٣ (العوائل باجمعها قدمت الى بغداد مـن العمارة)

١٩٥٣		١٩٧٣	
المسلمون	الصابئة	المسلمون	الصابئة
٨	٧	١٥	١٧
٤	٥	٣	١٨
١١	٦	١٨	١٨
٤	٥	٣٢	١٠
٤	٧	٠٤	١٣
٦	٤	٥٨	١٠
٧	٣	١٣	٠٦
٧	٦	١٥	٠٩
٥	٨	١٥	٣٠
٢	١٠	٠٩	٤٩
٦	١١	١٥	٢٣
٦٣	٧٢	١٧٤	٢٠٤

يصل حسب المعيار السابق ١ر٣٪ نجد ان نسبة تزايد الصابئة السنوية ٨ر٢٪
ولقد ناقشت عددا من مثقفي الصابئة حول ذلك فردوا ان زيادة المثقفين منهم ، وارتفاع مستوى المعيشة لدى كثير من الصابئة ادت الى تفهمهم لاهمية تحديد النسل . كما انه لا توجد عوائق دينية لتحريم ذلك فبدأ كثير مـن تلك العوائل تمارس تلك العملية . الا انه رغم كل ذلك فان الصابئة طائفة تتزايد

وتنمو عدديا ، وسيستمر تواجدها استنادا الى ما سبق تبيانه • حتى ان السيد الحسني لم ير بدا من ذكر عدد الصابئة حسب تعداد عـــام ١٩٦٥ م دون الاشارة الى عددهم عام ١٩٥٧ في آخر طبعة لكتابه عام ١٩٧٠[٤٨] • واشارالى ان ارتفاع مستوى المعيشة وتحسن الوضع الصحي لكثير منهم قد ادى الى ذلك • اضافة الى تخلي شباب الطائفة عن بعض الطقوس الدينية التي كثيرا ما ادت الى الوفاة[٤٩] •

٤ ــ توزيعهم الجغرافي وحركتهم وانتقالهم

ان اول البقاع التي سكنها الصابئة المندائيون هي دست ميسان ما بين واسط وخوزستان (اي محافظة ميسان الحالية وذي‌قار والبصرة) ومنطقـة الاهواز والمحمرة في عربستان • وذلك ليكونوا قرب المياه الجارية في بيئـــة دافئة لا تنخفض فيها درجات الحرارة بحيث يتعذر عليهم ممارسة طقـــوس التعميد والوضوء التي تعتبر اهم شعار في دياناتهم • وقد بقي هذا التوزيع ثابتا حتى فترة قريبة • وكان من اهم مراكزهم قلعة صالح وسوق الشـيوخ اضافة الى العمارة والحلفاية والكحلاء والبصرة • وكان اكثر من نصف عددهم يسكن لواء العمارة كما يظهر من احصاء ١٩٣٥ م • وان اكثر من ٩٣٪ منهم يسكن في ثلاثة الوية هي العمارة والناصرية والبصرة • (انظر جدول رقم ٣)

اما احصاء عام ١٩٤٧ الرسمي فيظهر ان لواء العمارة ما يزال المنطقة التي تشهد اكبر تركز لهم • ولكن بدأت نسبة قاطنيه من الصابئة تقل عن نصف مجموعهم الكلي • وقد لوحظت بوادر نمو وتزايد عددهم في بغداد • وهذا عائد الى هجرة الصابئة نحو بغداد • بينما قلت نسبتهم في الالوية الثـــلاث الجنوبية الى المجموع العام فاصبحت ٧٥٪ فقط (لاحظ خارطة رقم ١)

(٤٨ ، ٤٩) الا ان السيد الحسني لم يتخل عن رايه السابق حول تناقص عدد الصابئة رغم انه ثبت التناقض في صفحات كتابـــه بطبعتـــه الاخيرة « الصابئون في حاضرهم وماضيهم » الطبعة الرابعة مطبعة العرفـــان ــ صيدا ــ لبنان ١٩٧٠ ص ١٢٣ ــ ١٢٥

جـدول رقم ٣

عدد الصابئة في العراق وتوزيعهم حسب المحافظات والسنوات

المحافظـات	١٩٣٢	١٩٣٥	١٩٤٧	١٩٥٧	١٩٦٥
نينـوى	١٥	٣٢	٨٤	٥٨	٩١
دهـوك	—	—	٤	٣	٠٤
السليمانية	—	—	١	١٥	٣٨
اربيـل	—	—	٠٢	٤١	٥١
كركوك	٧	٢٦	٤١	٢٤٢	١١٨
ديـالى	—	١٣	٨٨	٢٢٣	٤٨٦
الانبار	٨	٠٥	١٢٤	٢٤٣	١٨٧
بغـداد	٢٤٤	١٢٥	٨٩٥	٣٧٦٨	٦٢٧١
واسط	٥١	٨٤	١٦٠	٠٢٢٥	٢٣٢
بابـل	—	—	٢٢	٧٢	١١٠
كربلاء	—	—	٠٠٢	٠٠٢٨	—
القادسية	٣٩	٣١	١٠١	٠١٨٥	٢٠٩
المثنـى	—	—	٠٢٣	٠٠١٠	٠١٤
ميسان	١٩٧٢	٣٠١٤	٣١١٥	٢٥٧٩	٢٢٥٧
ذي قار	١٧٣١	١٣٢٩	٠٧٩١	١٥٤٤	١٤٧٤
البصرة	٠٧٣٨	٠٧٣٨	١١٤٤	٢١٨٢	٢٧٢٠
الجاليـات					٣١٠
المجموع	٣٨٠٥	٥٤٣٢	٦٥٩٧	١١٨٢٥	١٤٥٧٢

خارطة رقم ١

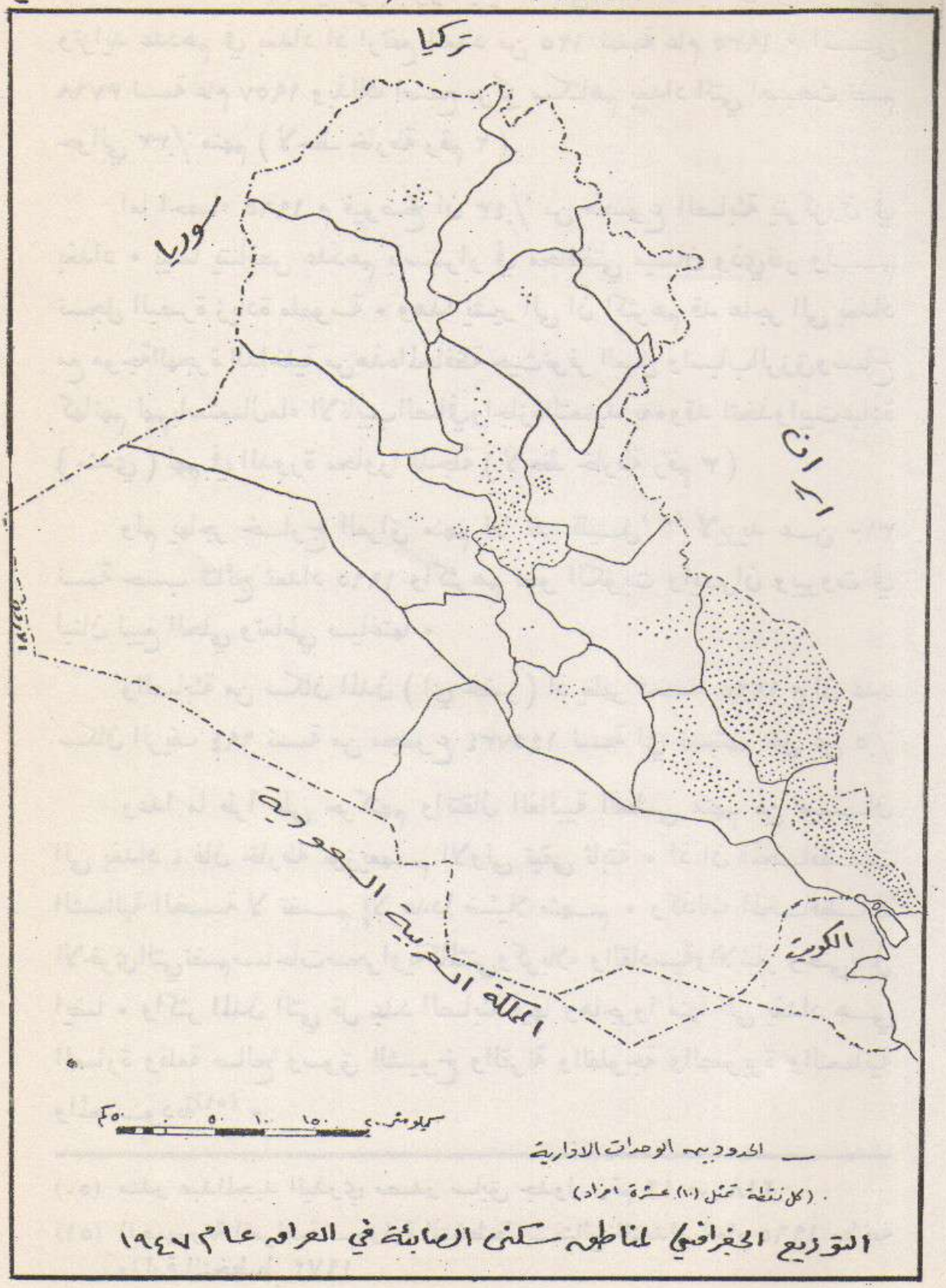

التوزيع الجغرافي لمناطق سكنى الصابئة في العراق عام ١٩٤٧

اما احصاء ١٩٥٧ فيظهر بصورة جلية تناقص عدد الصابئة في لواء العمارة وتزايد عددهم في بغداد اذ ارتفع العدد من ١٢٥ نسمة عام ١٩٣٥ م الى ٣٧٦٨ نسمة عام ١٩٥٧ وبذلك اصبح مركز سكناهم بغداد التي اصبحت تضم حوالي ٣٢٪ منهم (لاحظ خارطة رقم ٢)

اما احصاء ١٩٦٥ م فيوضح ان ٤٣٪ من مجموع الصابئة يتركزون في بغداد • بينما يتناقص عددهم باستمرار في محافظتي ميسان وذي‌قار ولم تسجل البصرة زيادة ملموسة • وهذا يشير الى ان اكثرهم قد هاجر الى بغداد مع موجة الهجرة الداخلية من هذه المحافظة حيث توفر العمل واسباب الرزق وسماح كهانهم لهم باستعمال ماء الانابيب الصافي واجازة التعميد به • وقد اتخذوا بيت عبادة (مندي) لهم في الدورة مجاورا لدجلة (لاحظ خارطة رقم ٣)

ولم يهاجر خارج العراق منهم الا نفر قليل[٥٠] لايزيد عن ٣١٠ نسمة حسب نتائج تعداد ١٩٦٥ واكثرهم نحو الكويت وايران وبيروت في لبنان لبيع الحلي وتعاطي صياغتها •

والصابئة من سكان المدن (اي حضر) اذ يظهر احصاء ١٩٦٥ م ان عدد سكان الريف ٦٩٤ نسمة من مجموع ١٤٥٧٣٤ نسمة اي نسبتهم تقل عن ٥٪

وعدا ما طرأ على حركتهم وانتقال الغالبية العظمى منهم من ميسان الى بغداد ، فان خارطة توزيعهم الاولى تبقى ثابتة • اذ ان المحافظات الشمالية الخمسة لا تضم إلا عدداً ضئيلا منهم • وكذلك المحافظات الاخرى التي تضم مساحات صحراوية كالمثنى وكربلاء والقادسية والانبار وحتى بابل ايضا • واكثر المدن التي قل عدد الصابئة فيها وهاجروا منها الى بغداد هي العمارة وقلعة صالح وسوق الشيوخ والقرنة والفلوجة والصويرة والنعمانية والمحمودية[٥١] •

---

(٥٠) منذر عبدالمجيد البدري مصدر سابق جدول رقم ١٢ ص ٢١٨

(٥١) الجمهورية العراقية ـ وزارة التخطيط ـ نتائج التعداد العام ١٩٦٥ مطبعة وزارة التخطيط ١٩٧٢

مكتبة قسم الخرائط
كلية الآداب

خارطة رقم ٥

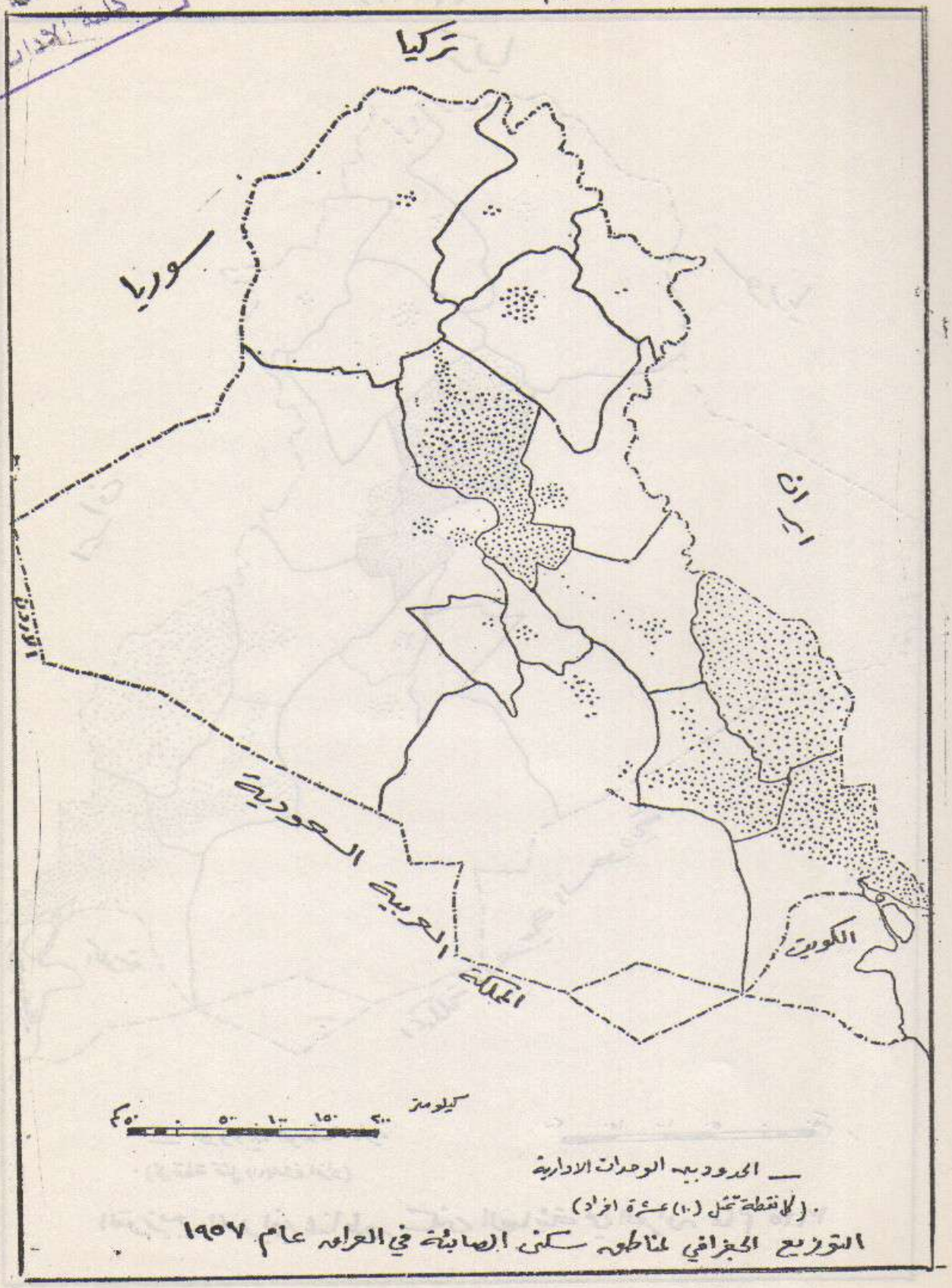

ـــ الحدود بين الوحدات الادارية

. (النقطة تمثل (١٠) عشرة افراد)

التوزيع الجغرافي لمناطق سكنى الصابئة في العراق عام ١٩٥٧

خارطة رقم ٣

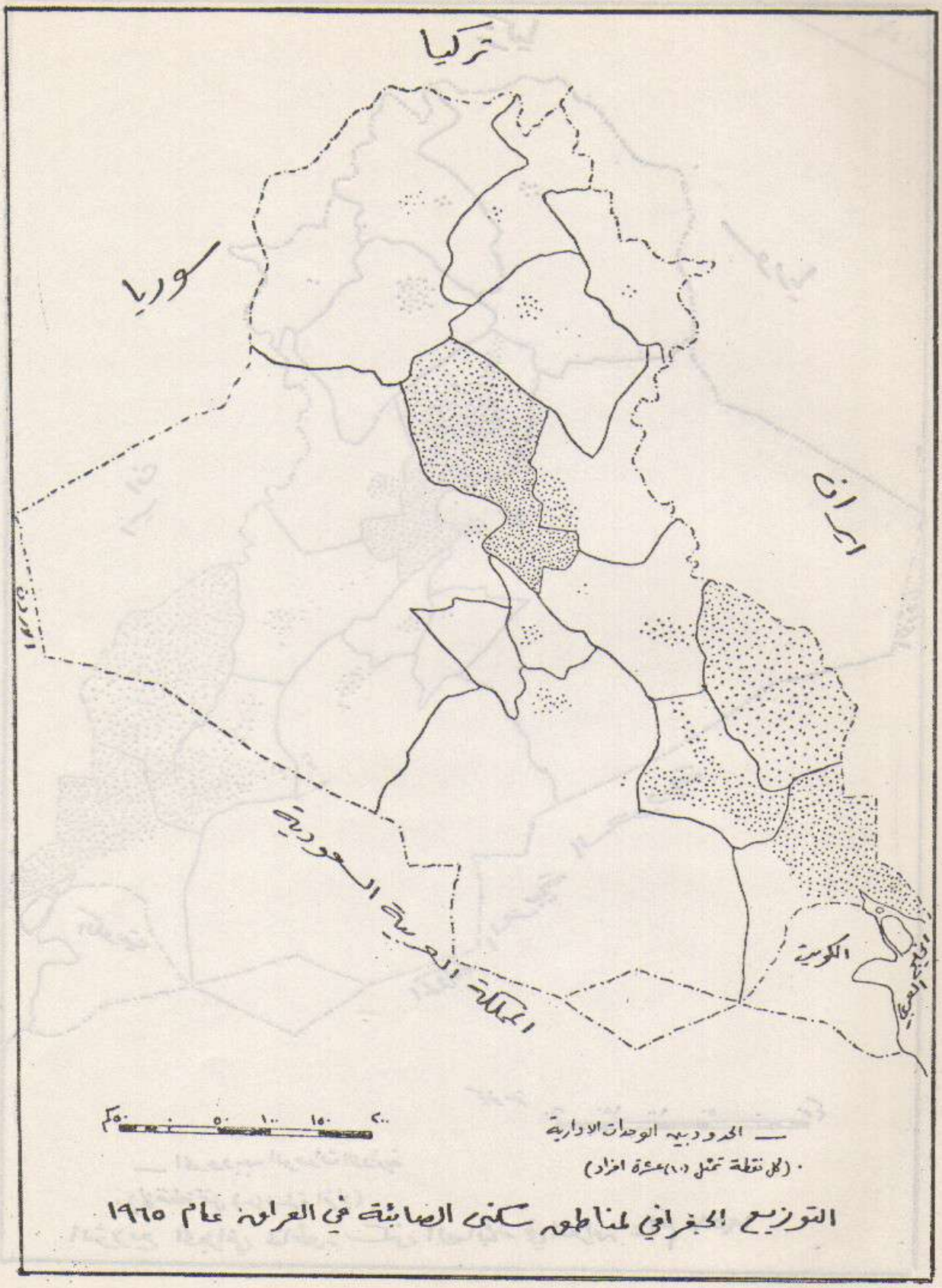

التوزيع الجغرافي لمناطق سكنى الصابئة في العراق عام ١٩٦٥

ولم يشكل الصابئة اغلبية في اية مدينة من مدن العراق بل ان اعلى نسبة وصلوا اليها هي ٥ر١٪ من سكان مركز قضاء العمارة(٥٢) . وهكذا فان التوزيع الجغرافي لاستيطان الصابئة وسكناهم قد تأثر بما املته عليهم ديانتهم . اذ لابد من توفر الماء والدفء كي يمارسوا طقوسهم الدينية التي من أهمها التعميد ولذا فانهم لم ينتشروا في الاجزاء الشمالية من العراق . وبقوا في المناطق الجنوبية قرب البطائح (الاهوار) ولم يبعدوا بهجرتهم الاخيرة شمال بغداد . وحتى الذين هاجروا خارج العراق فضلوا ان يعيشوا بجوار العراق وفي بيئات دافئة كجنوب ايران والكويت .

٥ ـ حرفهم

يحترف أكثر الصابئة الصياغة والحدادة والنجارة وان ابرز تلك الحرف هي صياغة الذهب والفضة وتطعيمها بالمينا . ولكنهم لم يمتهنوا الزراعة . واعتقد ان هذه الطائفة قليلة العدد . هربت ـ كما سبق ـ من الاضطهاد . فلم يكونوا غزاة ولم يتسلموا سلطة . ولذا فلم يتملكوا اراضي ولم يحاولوا ان ينافسوا الاكثرية في عملهم سواء من الملاك او الفلاحين او التجار . ولم يحتكوا بهم ليثيروا احقادهم . فسكنوا المدن وامتهنوا حرفا لم ينافسهم بها منافس بل انهم اختاروا اصعبها وادقها ، تلك هي صياغة الحلي من الذهب والفضة وزخرفتها بالميناء . اما الذين كانوا يسكنون الريف فانهم امتهنوا الحدادة والنجارة وكانوا في ظل حماية شيوخ العشائر والاقطاعيين الذين كانوا بامس الحاجة الى خبرتهم .

وقد يكون الدافع الى براعة الصابئة بالصياغة ان هناك بعض الادوات والحلي التي يجب ان يلبسونها اثناء ممارستهم لطقوسهم الدينية وفي المناسبات منها .

---

(٥٢) يشير السيد منذر عبدالمجيد البدري الى ان الصابئة شكلوا نسبة ٣٪ من مجموع مركز ناحية سوق الشيوخ ولكن لم يتركز هؤلاء في المدينة فقط راجع جدول رقم ٣ ص ١٥٥ .

أ ـ الشوم ياور وهي عبارة عن حلقة من ذهب تلبس في خنصر اليد اليمنى من قبل الكاهن مكتوب عليها (شوم ياور زيوا) اي اسم الروح العظمى للنور[٥٣] .

ب ـ السكين دولة او (الاسكندلة) : وهي الختم الطلسمي المصنوع من الحديد وتحمل نقوشا تمثل الاسد والعقرب والنحلة والافعى . وتشكل الافعى التي يلتقي ذيلها براسها اطارا للاخريات . وهي تلبس اثناء التعزيم ومن قبل اولئك الذين يعزلون لنجاستهم ، كما هي الحال في الولادة والزواج . وتختم بها سرة الوليد . ويلبسها الكنزفرة (الكاهن الاكبر) للعريس في حفلة الزفاف . كما يختم بها القبر في طقوس الدفن وتربط الحلقة بطرف سلسلة من الحديد وبالطرف الآخر تثبت سكين لا مقبض لها[٥٤] .

من كل ذلك نخلص الى ان ديانة الصابئة املت عليهم صنع ادوات وحلي تحتاج الى دقة ومهارة اكسبتهم حذقا لم يجاريهم به احد وخاصة الحفر على الميناء . وقد اجتهدوا ان يخفوا اسرار هذه المهنة وخاصة صياغة الميناء وتركيبها وعلى وجه الخصوص الملونة منها كي لا ينافسهم فيها احد[٥٥] . وانهم امهر من اليهود والمسلمين في هذه الصناعة (الصياغة) . اما الذين سكنوا منهم في الريف وكانوا سابقا يشكلون الغالبية العظمى منهم ، فقد امتهنوا صناعة القوارب والمشاحيف وادوات الزراعية كالمحاريث والفؤوس والمناجل وآلات الحصاد والمناقير وادوات الصيد في الاهوار كالشصوص والفالات[٥٦] . وبينما تزدهر حرفة الصياغة باستمرار نجد ان الحرف الاخرى بتناقص واضمحلال . ويمكن التعرف على اهمية صناعة صياغة الذهب والفضة كاحدى الصناعات اليدوية المهمة التي تتطلب مهارة فائقة . وانها تركزت في اسواق خاصة بها

(٥٣ ، ٥٤) الليدي دراوور ـ مصدر سابق ص ٨٦ ـ ٨٧

(٥٥) يدعى السيد عبدالحميد بكر عبادة ان الصابئة لايكتمون اسرار تركيب الميناء ويذكر في كتابه (مندالي) ص ٢٠ مقادير تركيبها .

(٥٦) الليدي دراوور مصدر سابق ص ١٠٦

في بغداد كسوق الذهب في السراي وسوق الفضة في نهاية شارع المستنصر (النهر) وان اكثر المشتغلين بالصياغة من الصابئة • وقد قمت باختيار ٧٥ حانوتا لصياغة الذهب في سوق السراي فوجدت ان ٦٤٪ منها يعود الى صابئيين • وكذلك الحال بالنسبة لعدد المشتغلين فيها اذ بلغت نسبتهم ٦٤٪ ايضا • وحتى ان العاملين في هذه المهنة من غير الصابئة يعتمد في كثير من عملياتها الاولى على عمال من الصابئة واكثر هؤلاء يتاجرون بالحلي ولم يمارسوا صياغتها • كما ان الصاغة يشكلون النسبة العظمى من منتسبي نادي التعارف[٥٧] • اذ بلغ عددهم عام ١٩٧٣ م ٢٤٤ عضوا من مجموع ٦٦٧ عضوا اي انهم يشكلون حوالي ٥ر٣٦٪ من مجموع الاعضاء •

وقد ظهر من نتائج احصاء ١٩٦٥ الصناعي[٥٨] ان عدد مؤسسات الصياغة في العراق هي (١٦٢٠) مؤسسة من مجموع المؤسسات الصغيرة البالغ عددها ٢٢١٦٨ مؤسسة اي انها تمثل ٨٪ من المجموع العام • بينما لم يزد عدد المؤسسات التي تصنع القوارب عن (٢٠) مؤسسة فقط • وان معدل عدد الاشخاص الذين يشتغلون بمؤسسات الصياغة (٢٥٤١) عاملا من مجموع (٤٧٩٣٠) عامل اي ان الصياغة تستوعب ٥٪ منهم • وان منهم ٢٢٠٤ ماهرا من مجموع ٣٥٤٦٤ عامل ماهر وذلك يشير الى ان ٦٪ من العمال الماهرين يمتهن الصياغة • ولم تبرز اهمية هذه الحرفة بارتفاع نسبة العمال المهرة الذين يزاولوانها فحسب بل كذلك بمبلغ المواد الاولية المستخدمة فيها اذ بلغت (٤٠٩٣٣٠) دينارا من مجموع (٣٠٦٨١٢٧) دينارا • وذلك

---

(٥٧) نادي التعارف : نادي اجتماعي خاص بالصابئة تأسس عام ١٩٧٢

(٥٨) الجمهورية العراقية ـ وزارة التخطيط ـ الجهاز المركزي للاحصاء نتائج الاحصاء الصناعي ١٩٦٥ مطبعة الزهراء ١٩٦٦

يمثل ١٤٪ من مجموع قيمة المواد الاولية المستخدمة من قبل المؤسسات الصغيرة في العراق • اما قيمة المنتجات المباعة فهي (٤٢٦٣٠٨) دينارا من مجموع (٤٢٠١٣١٣) دينارا وذلك يشير الى ان الصياغة تستأثر بـ ١٠٪ من مجموع اقيام المواد المباعة • ولذا فالصاغة يضيفون الى راس المال الاجتماعي والدخل القومي قدرا لا يستهان به بعد تحويلهم المواد الاولية الى حلي ومجوهرات تعود الى خبرتهم بالدرجة الاولى • وكثيرا ما كانت مصدرا للعملات الصعبة ، اذ ان السواح لهم شغف بالاقباب على شرائها • وهي كما اشرنا حرفة مزدهرة بسبب الطلب المتزايد على المصوغات واقتناءها باستمرار •

والصابئة من انشط سكان العراق حبا للعمل وتفانيا فيه • وقد لاحظت ان عددا كبيرا من المسنين منهم لازالوا يعملون في حوانيت الصياغة • وقد بدأ الصابئة من الجنسين يدخلون الحياة العامة والخدمة الحكومية في مختلف المجالات وهذا ما لا يرضى عنه المتزمتون من المتدينين ورجال الدين منهم •

ولديهم رغبة شديدة وخاصة شبابهم لتلقي العلم والاقبال على التعلم • فقد اشار احصاء ١٩٥٧ ان اكثر من ٦٥٪ منهم متعلمون • وبذلك فان نسبة الامية عندهم متدنية اذا ما قارناها بتفشيها عند اليزيدية واغلبية السكان من المسلمين[٥٩] • فبالاضافة الى مجال التعليم والجيش هناك عدد منهم قد امتهن الطب والهندسة • ورغم قناعتنا بان منتسبي نادي التعارف في بغداد لا يمثل الا نسبة معينة من الصابئة الا اننا نستطيع ان نتعرف على مختلف المهن والوظائف التي يشتغل بها الصابئة (انظر جدول رقم ٤) •

---

(٥٩) منذر عبدالمجيد البدري مصدر سابق جدول رقم ١٣ ص ٢٢١

جدول رقم ٤

احصائية بعدد اعضاء نادي التعارف والمهن والاعمال التي يزاولونها

المهنة	العدد	ذكور	اناث
١ ـ صاغة	٢٤٤	٢٤٤	—
٢ ـ طلاب الجامعة	٠٧٤	٤٩	٢٥
٣ ـ موظفون في مختلف الدوائر الحكومية	٨٥	٧٦	٠٩
٤ ـ مهندسون	٦٤	٦٣	١
٥ ـ اطباء اسنان وبيطريون	٤٠	٤٠	—
٦ ـ متقاعدون	٣٧	٣٥	٠٢
٧ ـ معلمون	٣٠	٢١	٠٩
٨ ـ مدرسون	٢٥	١٨	٠٧
٩ ـ خريجوا جامعة لم يعينوا	٢٢	١٣	٠٩
١٠ ـ اطباء	١٦	١٦	—
١١ ـ اساتذة	١٤	١٤	—
١٢ ـ محاميون ومهنيون	٠٩	٠٩	—
١٣ ـ صيدلانيون	٠٧	٠٥	٠٢
المجموع	٦٦٧	٦٠٣	٦٤

المصدر ـ احصائية عن نادي التعارف بغداد ١٩٧٣

٦ ـ تفاعل الطائفة ومستقبلها الاجتماعي

بالرغم من انطوائية الصابئة وغموضهم فانهم لم يحملوا روحا عدائيـة لاحـد • وهم من افضل الاقليات التي استفادت من تسامح المسلمين معهم • فعاشوا بوئام ولعل شعورهم بان اجدادهم قد هربوا من الاضطهاد دفعهم الى

روح المسالمة • ولهذا فلم يسبق ان اثاروا اية مشاكل • وذلك لا يعود الى قلة عددهم بل الى طبيعتهم المسالمة المحبة للخير ولاخلاصهم في عملهم واحترامهم لجميع الشرائع والاديان المحيطة بهم •

ويقبل ابناء هذه الطائفة الآن على الحياة العصرية تاركا كثيرا من تقاليدهم وطقوسهم الدينية • ويساهمون مساهمة فعالة في الخدمة العامة • الا ان ذلك يهدد طبقة الكهان منهم الذين يعيشون على ما يقدم لهم من اعطيات اثناء ممارسة الطقوس في المناسبات الخاصة • ويحصل اليوم تطور كبير في معتقداتهم لتساير الاوضاع الحديثة كجواز التعميد من ماء الانابيب لانه جار ايضا • وعدم التقييد باطلاق الذقون وجواز اكل طعام ذوي الاديان الاخرى •

وبصورة عامة ، ان المستوى المعاشي لافراد الطائفة بدأ يرتفع نتيجة للارباح التي يجنونها من حرفة الصياغة • اضافة الى ان نسبة كبيرة منهم بدأت تدخل الى الخدمة العامة في المؤسسات الحكومية ـ كما اسلفنا ـ ولم يتكتل الصابئة باحياء خاصة في المدن بل يعيشون بين الغالبية من السكان مجاورين لهم ممتزجين معهم • ويصدق هذا القول على بغداد إلا انه لا يمنع ان توجد محلات خاصة بهم كمحلة الصبة في العمارة والبصرة الا انها لم تكن متميزة عن غيرها سوى باقترابها من النهر[٦٠] • وان غالبية الاطفال من الجنسين ـ ان لم نقل جميعهم ـ يتعلمون في المدارس الحكومية الى جانب الاكثرية • اذ لم توجد لهم مدارس خاصة بهم • ولكن الاطفال يتعلمون مهنة آباءهم فن الصياغة الى جانب ذلك بصورة فردية • ولم يعد مظهرهم المميز باطلاق شعور لحاهم موجودا الا للمسنين منهم • بل ان اسماءهم لا تختلف عن اسماء المسلمين المحيطين بهم[٦١] •

---

(٦٠) منذر عبدالمجيد البدري نفس الاصدر ص ٢٦١

(٦١) قمت بالاطلاع على اسماء اعضاء نادي التعارف عام ١٩٧٣ والبالغ عددهم ٦٦٧ عضوا واخترت من كل صفحة اسما لعلي اجد ما يميزهم فلم ار اي اختلاف باسماءهم عن الاسماء المتداولة ـ حسن ـ عبدالحميد ـ موفق ومن الاناث ليلى ـ خالدة ـ ابتسام ـ وهكذا

٧ ـ الخلاصة

تمثل دراسة الصابئة نموذجا لمجموعة بشرية اثرت معتقداتها الدينية على مواقع استيطانها واستقرارها • فرغم هجرة الصابئة من منطقة البطائح في جنوب العراق ، الا انها لم تتعد بغداد شمالا • ويبرز في ذلك ارتباط ديانة الصابئة بالارتماس بالماء او التعميد الذي لا يمكن ممارسته الا في بيئة دافئة • بل ان العدد القليل الذي هاجر خارج العراق لم يخرج من نطاق هذه البيئات الدافئة المجاورة كالكويت والاهواز • وقد تبين ان الاعتقاد بان هذه الطائفة ستزول من الوجود ينطوي على اسس واهية • ونرجح استمرار بقاء وتواجد هذه الطائفة ونموها وتكاثرها الطبيعي بالرغم من قلة عددها وباطنية معتقداتها تلك التي تقتصر على اتباعها فهي ليست تبشيرية •

وهي اخيرا من الاقليات الدينية النشطة العاملة والمسالمة التي تنعم برباط المواطنة والاخلاص لتربة هذا القطر • ولقد ضمن لها القانون الحرية الكاملة لممارسة طقوسها الدينية والمساواة الكاملة مع بقية المواطنين •

المصـــــادر

١ ـ ابن كثير ـ الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي « تفسير القرآن العظيم » الجزء الاول والثاني ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٥٦

٢ ـ البدري ، منذر عبدالمجيد « جغرافية الاقليات الدينية في العراق » رسالة ماجستير تقدم بها الى كلية الاداب ـ جامعة بغداد ١٩٧٥ (رونيو غير منشورة)

٣ ـ تاڤرنيه « العراق في القرن السابع عشر ، كما رآه الرحالة الفرنسي تاڤرنيه » نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٤

٤ ـ الجمهورية العراقية ـ وزارة الداخلية ـ مديرية النفوس العامة « المجموعات الاحصائية لتسجيل ١٩٥٧ » ـ مطبعة الزهراء بغداد ١٩٦١

٥ ـ الجمهورية العراقية ـ وزارة التخطيط ـ « الاحصاء الصناعي ١٩٦٥ ـ مطبعة الزهراء ١٩٦٦

٦ ـ الجمهورية العراقية ـ وزارة التخطيط نتائج التعداد العام لسنة ١٩٦٥ ـ مطبعة الجهاز المركزي ـ ١٩٧٣

٧ ـ جواد ، الدكتور مصطفى « الصابئة المندائيون ايضا »
مجلة العربي الكويتية ـ تصدرها وزارة الارشاد العدد ١١٦ تموز ١٩٦٨ ص ١٠٥ ـ ١١٠

٨ ـ الحسني ، عبدالرزاق « الصابئون في حاضرهم وماضيهم » مطبعة العرفان صيدا ـ لبنان الطبعة الثالثة ١٩٦٣ وكذلك الطبعة الرابعة ١٩٧٠

٩ ـ الحسني ، عبدالرزاق صابئة البطائح وصابئة حران هل هم الذين ورد ذكرهم في القرآن ؟
مجلة العربي الكويتية ـ العدد ١١٢ ص ٧٨

١٠ ـ الليدي دراوور « الصابئة المندائيون » ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٩ .

١١ ـ سوسة ، الدكتور احمد « العرب واليهود في التاريخ » الطبعة الثانية اوفسيت ـ دار الاعتدال بدمشق ١٩٧٢

١٢ ـ عبادة ، عبدالحميد بكر « كتاب مندالي او الصابئة الاقدمين » مطبعة الفرات ـ بغداد ١٩٧٢

١٣ ـ عليان ، الدكتور رشدي « الصابئون حرانيين ومندائيين » مطبعة دار السلام ـ بغداد ١٩٧٧

١٤ ـ المملكة العراقية ـ وزارة الشؤون الاجتماعية « احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ » مطبعة التمدن ١٩٥٤

١٥ـ ج.ج لوريمر « دليل الخليج العربي » (القسم الجغرافي) ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر ـ الدار العربية للطباعة والنشر ـ ١٩٧٠

١٦ ـ United Nation "Demographic year book 1970" New York 1971